Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Araştırmaları Merkezi

سلسلة علم الكلام

ذم الكلام

عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي

HER. Z

تحقيق وضبط وتعليق
د. سميح دغيم

دار الفكر اللبناني
بيروت

دار
الفكر اللبناني
للطباعة والنشر
كورنيش بشارة الخوري - بيروت - لبنان
هاتف: ٦٣٠٩٠٦ - ٦٣١٠٠٢ - ٦٣٠٧٥٧
ص.ب: ٤٦٩٩ أو ١٤/٥٤٩٠
جميع الحقوق محفوظة للناشر
الطبعة الأولى ١٩٩٤

الهَرَوي

حياته

٣٩٦ - ٤٨١ هـ

عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي ، أبو إسماعيل : شيخ خراسان في عصره . من كبار الحنابلة ومن ذرية أبي أيوب الأنصاري . كان بارعاً في اللغة حافظاً للحديث عارفاً بالتاريخ والأنساب ، مظهراً للسنّة داعياً إليها . إمتُحن وأُوذي وسُمع يقول : عُرِضتُ على السيف خمس مرات ، لا يقال لي ارجع عن مذهبك ، لكن يقال لي اسكت عمن خالفك ، فأقول لا أسكت[1] . يُعتبر من أهم حفّاظ الحديث ، حيث روي عنه أنه كان يحفظ إثني عشر ألف حديث يسردها سرداً .

يروى أن السلطان ألب أرسلان ووزيره نظام الملك ، قدما هراة مرة فاختلف إليهم بعض الشافعيين والحنفيين طالبين مناظرة الأنصاري الهَرَوي ، فلما حضر وحاججهم سكت الجميع . ويروى أيضاً أنه زاره يوماً الوزير نظام الملك ، فاستغل البعض حضوره ليسأله عن مسألة لعنه لأبي الحسن الأشعري ، فقال : لا أعرف أبا الحسن ، وإنما ألعن مَن لم يعتقد أن الله في السماء ، وأن القرآن في المصحف . كان إذا خرج إلى مجلس لبس الثياب الفاخرة وركب الدواب الثمينة ليُعزّ الإسلام . ثم إذا عاد إلى بيته عاد إلى المُرقّعة والقعود مع الصوفية في الخانقاه . أخذ عنه أهل هراة التكبير بالفجر وتسمية الأولاد غالباً بعبد المضاف إلى أسماء الله تعالى[2] .

---

(١) الزركلي ٥ ج ٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ص ١٢٢ .
(٢) سيَر أعلام النبلاء ، الذهبي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٩٨٤ ، مجلّد ١٨ ، ص ٥١٤ .

من مؤلفاته :

- ذم الكلام وأهله .
- الفاروق في الصفات .
- الأربعين في التوحيد .
- الأربعين في السنّة .
- منازل السائرين (مطبوع) .
- سيرة الإمام أحمد بن حنبل (مطبوع) .

عصر الهَرَوي

يمثل عصر الهَـرَوي ، القرن الحـادي عشر ميـلادي المرحلة الثـانية من الخـلافة العباسية ، وهي مرحلة التدهور والانحطاط . ولقد تميَّز هذا القرن على الصعيد السياسي بتأسيس دولة «المرابطون» في المغرب العربي ، وقيام دولة السلاجقة في المشرق العربي . فبعد سيطرة الترك على الجيش وعلى الإدارات العامة ، سيطر السلاجقة الـذين هم من الأتراك على الحياة السياسية بقيادة أحد زعمائهم «طفرل بك» الذي دخل إلى بغداد ونصّب نفسه سلطاناً مكان الخليفة القيِّم .

إن القرن الحادي عشر الذي عاش فيه فقيهنا (الهَرَوي) ، شهد محاولة من السلاجقة لإعادة بناء المجتمع الإسلامي على أساس من تعاليم السنّة . لقد كان الصراع على أشده ليس فقط بين الأسر السياسية الحاكمة ، ولكن أيضاً بين سلطات سياسية دينية أخذت تعمل على إعادة تكوين العالم الإسلامي حسب معتقداتها وهي الحكم الفاطمي في مصر .

المسألة السياسية في عصر الهَرَوي :

هكذا وُجِد الهَرَوي في جو سياسي مضطرب ، الخـلافة العبـاسية في انحـطاط ، السلطان العربي في انقراض ، ونفوذ بغداد أصبـح ضعيفاً أو تـلاشى . أضف إلى ذلك انقسام المسلمين إلى سنّة وشيعة من الناحية الدينية وانعكاس ذلك على الوضع السياسي ، بحيث نشأت الفرق المتعددة ذات الاتجاهات السياسية المختلفة . فالأشعريـة والفلسفة المـدرسية في الإسـلام سانـدها السـلاجقة ونـاهضتها المعتـزلة المـدعـومـة من الشيعـة والبويهيين . أضف إلى ذلك أيضاً نشوء فرقة الباطنية المدعومة من الفاطميين في مصر .

وكان إلى جانب الخلفاء والسلاطين ، الوزراء الذين غالباً ما كانوا يمسكون بزمام

السلطان . فنظام الملك السلجوقي أحد هؤلاء الوزراء الأقوياء استطاع أن يسيطر على مجريات الأمور في الخلافة العباسية من كل النواحي السياسية والعسكرية والثقافية ولمدة ربع قرن . وهو الذي أسس المدرسة النظامية في بغداد ، والتي كانت من إحدى المدارس التي أعيد إنشاؤها لتزويد المجتمع والنظام السياسي آنذاك بالهيئات الإدارية والثقافية اللازمة .

المسألة الثقافية والدينية :

من العسير أن نحدد بدقة ثقافة عصر معين ، وخصوصاً ثقافة القرن الخامس الهجري أي الحادي عشر ميلادي . ففي هذا العصر انسبكت كل المعطيات الثقافية السابقة (كلام ، فلسفة ، فقه ، سنّة ، أصول ، آراء الصحابة والمحدثين) في قالب جديد ، ربما استفاد منه بعض مفكري هذا العصر لإرساء قوالب ومناهج جديدة حكمت تفكير المسلمين فيما بعد ولفترة طويلة من الزمن .

ولا يسعنا هنا إلّا أن نُذكِّر أن المرحلة التي عاشها الهرَوي ، كانت مرحلة تجزئة سياسية واضطرابات اجتماعية ، لكنها أيضاً كانت مرحلة مثلت من الوجهة الثقافية انتشاراً أوسع يرجع سببه إلى نهضة العراق وصناعة الورق[1] . فلم توجد مدينة أنذاك إلّا واختصت بمكتبة أو مكتبات عديدة ومدارس وطلاب يؤمون المساجد والمؤسسات الخاصة وحلقات العلم . لقد اعتبر أنذاك تحصيل العلم من التقوى ، لذلك كانوا يلتمسون من جميع بلاد الدنيا المخطوطات التي حوت العلم ، وعمل النسّاخ على الإكثار منها ، واستُخدمت الأوقاف للإنفاق على هؤلاء النسّاخ وكذلك على المعلمين وطلّابهم . وانتشرت ظاهرة طلب العلم على أكثر من مصدر ، انتشرت أيضاً ظاهرة الجمع بين التفكير الديني والتفكير العلمي . وإن كان هناك تفريق بين العلوم الإسلامية وغيرها من العلوم ، إلّا أن الإحاطة بكليهما جميعاً كانت السمة الأساسية لمثقفي وعلماء ذلك العصر .

أما السياسة الدينية «السنيَّة» التي اتبعها السلاجقة فقد اتضحت في الأبنية التي ملأت الأمبراطورية السلجوقية : المساجد الواسعة ، والمشافي ، خانات التجار والتي كانت تمولها المؤسسات الدينية . ومن أهم المظاهر الدينية أنذاك نشوء ما يسمى بـ «خانقاه» أو «خندق» والتي كانت تضم أفراداً من المتصوفة أخذوا يعيشون في جماعات منتظمة ويتبعون بعض القواعد التي ترمي إلى تكوين الطوائف الدينية والمدارس . لقد تطور التصوف في

(١) كلود كاهن : تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ، دار الحقيقة بيروت ١٩٨٣ ، ص ٢٢٢ .

القرن الخامس الهجري على كل الصعد الاجتماعية والسياسية وخصوصاً في خراسان وفارس والعراق على عهد الدولتين السنيتين ، الغزنوية والسلجوقية ، كل ذلك في سبيل أدلجة الجماهير روحياً وسياسياً .

ولم يكن السلاجقة متعصبين من الناحية المذهبية ، فهم مع انتمائهم للمذهب الحنفي عهدوا بالوزارة (نظام الملك) إلى وزير شافعي أشعري طوال ثلاثين عاماً . وقد أجاز هذا الوزير في مدرسته النظامية أساتذة ينتسبون إلى مختلف المذاهب . لكن التعصب الوحيد الذي أبداه السلاجقة فكان تجاه الإسماعيلية والدعوة الفاطمية (الباطنية) . فقد حاربوا (السلاجقة) الباطنية اتقاءً للخطر الذي كان يمثله العرفان الشيعي أثناء المد الفاطمي ، على الدولة العباسية ومذهبها السني .

في هذا الجو المضطرب عاش الهَرَوي وكان أحد الفقهاء السنَّة الذين مثّلوا أقصى درجات التشدد في الانتظام العقيدي للمذهب السني كما بدأ على يد أحمد بن حنبل من قبله .

وصف المخطوط

حققنا المخطوط نقلاً عن النسخة المصوَّرة على شريط :
Museum Photographic Service, London.

ويعود تاريخ نسخ هذا المخطوط كما هو مذكور في آخره إلى عام ٧١٠ هجرية في أواخر شهر رمضان .

الخط نسخي ، والمخطوط مقسم إلى عدة كراسات : ١٤ كراسة . وتقسيم أوراقه المزدوجة يقع في ١٣٤ ورقة مزدوجة . أضف إلى ذلك أن الأوراق الأولى والتي تقارب الخمسين غير مرقّمة .

في المخطوط الكثير من الالتباس وخصوصاً في بعض أسماء الرواة والمحدثين . وكثيراً ما نقع على فراغات بيضاء في المخطوط ، أحياناً كنا نستطيع معرفة ما يجب من يكون من سياق المعنى ، وأحياناً كثيرة لم نعرف . إضف إلى ذلك أن الكثير من الألفاظ لم نستطع تبيّن معالمها ومعرفة ما تعنيه فأثبتناها كما هي ، وأحياناً كثيرة قدَّرنا المعنى وأثبتناه بما يتلاءم والسياق العام للكتاب .

مضمون الكتاب

يقسم الكتاب إلى استهلال ثم عدة أبواب :

١ ـ **في الاستهلال** : استغراق طويل في شرح لمعنى الآية ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ .

٢ ـ **في الباب الأول** : سرد وشرح وروايات عن أولئك الذين كانوا يتكلمون في القدَر ويجادلون في القرآن . والملفت للنظر أن التساؤلات حول العقيدة الدينية بدأت باكراً منذ عهد الرسول كما هو واضح من الأحاديث المروية . هذه المجادلات والتساؤلات حول معاني القرآن وما فيه من آيات محكمات وآيات متشابهات ، واعتبار كل ذلك من قبل الرسل كُفراً في الدين ، لم تكن عند الأمم السالفة التي استقامت باتباعها الطريقة .

٣ ـ **في الباب الثاني** : يتحدث عن الخشية من الائمة المنافقين والمجادلين في الدين ، وعن التأويل ومضاره في حق المسلمين . فلا خوف من المؤمن ولا حتى من المشرك الظاهر شركه ، بل الخوف كل الخوف من المنافق المتأول .

٤ ـ **في الباب الثالث** : وفيه يتعرض للتمييز بين العلماء والخطباء . ويورد أحاديث عن الرسول في تفضيل العلماء وتسفيه الخطباء ، لأن تشقيق الكلام أو الخطب من الشيطان .

٥ ـ **في الباب الرابع** : وفيه ذم الجدل ﴿**وما كان الإنسان أكثر جدلاً**﴾ . فالجدل والتماري يدخلان صاحبهما إلى النار . وفي هذا الباب يروي قصة ذلك الكتاب الذي كان يود كتابته النبي وهو على فراش الموت .

٦ ـ **في الباب الخامس** : وفيه يحث على ترك المراد ويعطيه حكم الفضّل . فمَن ترك